الجواهري ومكافحة الصهيونية قبل ضياع فلسطين

أ.م.د. صادق فتحي دهكردي أ.م.د. عبد الرسول إلهايي

جامعة طهران/ برديس فارابي/ إيران

Al-Jawaheri and the fight against Zionism before the loss of Palestine

Ass.Prof.Dr. Sadeq Fathi Dehkordi Ass.Prof.Dr. Abdol Rasol Elhaei

Tehran University\ Farabi campus\ Iran

s.fathi.d@ut.ac.ir

Abstract

Modern Arabic poetry has not been away from the Palestine Case during the recent decades. Poets and scholars tried their best to record their stand in order to retain the vain munificence of these people. Some poets played a significant role to encounter the Zionists danger in the region. One of them is the Iraqi poet Mohammad Mehdi Al jawaheri.

The article concludes Javaheri used the poem language to warn against a dangerous plot against Palestine, which was on the verge of repeating the Andalusia defeat for other Arab countries. Javaheri encouraged Palestinian youth, as well as Arab countries to use force to fight the aggressors and take back the occupied territories of the Palestine. The acclaimed poet also disclosed the betrayals by the Arab leaders and held them responsible for the defeats and setbacks facing the people of their countries. He rebuked submissive policies suggesting the normalizations of relations or to adopt to the current situation.

The current study is descriptive and analytic and is going to describe and clarify aspects of the Palestinian cause before the occupation of Palestine started in 1948in Javahiri poems.

We concluded that Al-Jawaheri focused very well on the Palestine issue by using the Place theme. He maintained that this holy place "Jerusalem" is the land of fighting against the occupiers. And, he used different Islamic and Arabic images Too, this is because of the religion an ethnic feeling toward Palestinian.

Key words: The modern Arabic poem, Mohammad Mahdi Aljawaheri, the Palestine crisis, occupation, fighting.

الملخص

لم يكن الشعر العربي الحديث يوما بمعزل عن القضية الفلسطينية طيلة العقود الماضية، إذ حاول الشعراء والأدباء تسجيل مواقفهم وإبداء رأيهم في سبيل استعادة كرامة الأمة المهدورة بفعل الاحتلال. ولعب بعض الشعراء بمن فيهم الشاعر العراقي الكبير «محمد مهدي الجواهري» دوراً فاعلاً في مواجهة الخطر الصهيوني بالمنطقة.

أن قراءة هذا البحث تُبين بأن الجواهري جعل القصيدة صرخة ليحذر من مغبة المؤامرة التي دُبّرت لفلسطين وتكاد تبتلع مناطق عربية أخرى لتلحقها بمصير الأندلس، وحث الشباب الفلسطيني والعربي على مكافحة الغزاة واسترجاع ما احتل من فلسطين بالقوة. وأزال القناع عن تخاذل القادة العرب، محملاً إياهم الهزائم التي تلحق بالأمة عربية. وانتقد سياسة التطبيع والقبول بالأمر الواقع، وسخر من الحلول الاستسلامية.

وتهدف هذه الدراسة التي اعتمدت الأسلوب الوصفي التحليلي، إلى معالجة ومعاينة القضية الفلسطينية قبل النكبة لدى آخر الكلاسيكيين العرب وما لها من انعكاسات في شعره.

ومن النتائج التي توصل إليها البحث هي أن الجواهري اهتم بالقضية الفلسطينية اهتماماً كبيراً عبر توظيفه المكان الفلسطيني باعتباره مسرح الصراع وفق العلاقة الجدلية بين سكانه الأصليين وقوات الاحتلال ما أدى إلى إضافة بعد جمالي لشعره، حيث تناول صوراً عديدة لهذه البقعة المباركة مثل بيت المقدس والأقصى المبارك وأورشليم و... لتسليط الضوء على معاناة أهلها من جراء الاحتلال الصهيوني

كلمات مفتاحية: الشعر العربي المعاصر، محمد مهدي الجواهري، القضية الفلسطينية، احتلال، الكفاح.

المقدمة:

مرّت المأساة الفلسطينية بثلاثة مراحل تأريخية رئيسية، لكلّ منها ميزاتها ومواصفاتها وفي كل مرحلة حدثت أحداث تطور واكتمل بها قسمٌ من الفجيعة:

1- مرحلة ما قبل النكبة (من عام 1917 إلى عام 1948)

2- مرحلة ما بعد النكبة (من عام 1948 إلى عام 1967)

3- مرحلة ما بعد النكسة (من عام 1967 إلى يومنا هذا)

وفي مرحلة ما قبل النكبة «أُعدّت الأرضية والتمهيد لتكوين الكيان الصهيوني، ومن أبرز معالم المأساة في هذه المرحلة هو «وعد بالفور الغاشم» (1917) الذي ينصّ على إنشاء وطن قومي لليهود في الأراضي الفلسطينية» (بهاء الدين ومراديان، 2011، ص 333) وعلى الرغم من أن السياسيين اختاروا 1948/5/15 موعداً لتأريخ بداية النكبة الفلسطينية، إلا أن المأساة الإنسانية بدأت قبل ذلك عندما هاجمت عصابات صهيونية إرهابية قرىً وبلدات فلسطينية بهدف إبادتها أو دب الذعر في سكان المناطق المجاورة بهدف تسهيل تهجير سكانها لاحقاً.

ومناسبة «يوم النكبة» هي مصطلح فلسطيني يبحث في المأساة الإنسانية المتعلقة بتشريد عدد كبير من الشعب الفلسطيني خارج دياره، وهو الاسم الذي يطلقه الفلسطينيون على تهجيرهم وهدم معظم معالم مجتمعهم السياسية والاقتصادية والحضارية عام 1948. وهي السنة التي طرد فيها الشعب الفلسطيني من بيته وأرضه وخسر وطنه لصالح إقامة الكيان الصهيوني. وتشمل أحداث النكبة، احتلال معظم أراضي فلسطين من قبل الحركة الصهيونية، وطرد ما يربو على 750 ألف فلسطيني وتحويلهم إلى لاجئين، كما تشمل الأحداث عشرات المجازر والفظائع وأعمال النهب ضد الفلسطينيين، وهدم أكثر من 500 قرية وتدمير المدن الفلسطينية الرئيسية وتحويلها إلى مدن يهودية. وطرد معظم القبائل البدوية التي كانت تعيش في منطقة «النقب» ومحاولة تدمير الهوية الفلسطينية ومحو الأسماء الجغرافية العربية وتبديلها بأسماء عبرية وتدمير طبيعة البلاد العربية الأصلية (أبو عامر، 2007، صص 17-9).

ولم يغفل الشاعر العراقي الكبير «محمد مهدي الجواهري» القضية الفلسطينية باعتبارها القضية المركزية للعالم الإسلامي، بل اندمجت هذه القضية في مجمل اهتماماته حيث تناول الموضوع في عدة قصائد أنشد بعضها قبل يوم «النكبة» والبعض الآخر بعد هذا الواقع الأليم، كما أننا عثرنا على قصائد أخرى أنشدها بعد مناسبة «النكسة». وسيتناول هذا المقال القصائد والأشعار التى تطرقت الى القضية الفلسطينية قبل يوم النكبة حيث اُحتلّت معظم مناطق فلسطين وشُرّد أهلها عام 1948.

وتناول الجواهري موضوع فلسطين باتجاهين؛ الاتجاه العربي والاتجاه الفلسطيني. «ويقوم الاتجاه العربي على أساس علاج القضية الفلسطينية وتقليص أزمتها عن الطريق العربي كمشكلة قومية لاتحلّ إلّا على الصعيد القومي، ويقوم الاتجاه الفلسطيني على أساس حل القضية الفلسطينية على صعيد فلسطيني، ويلقي عبء تحريرها على الفلسطينيين أنفسهم، يدفع بهم إلى ميدان النضال، ويصدّرهم جبهات المعركة (الصغير، 1968م، ص59)

ومن خلال تورقنا لديوان الجواهري المكوّن من سبعة أجزاء وجدنا قصائد «الشباب المر» التي نظمها عام (1922)، و«فلسطين الدامية» التي كتبت عام 1929، و«يوم فلسطين» التي نظمها في سورية عام 1938، و«ذكرى وعد بلفور» (1945) و«يافا الجميلة» (1945)، و«اليأس المنشود» (1947)، و«ناغيت لبناناً» (1947) تتطرق الى القضية الفلسطينية قبل مأساة النكبة.

وتضمنت الدراسة أربعة أقسام، فتتحدث بشكل يسير عن حياة الجواهري الشخصية والأدبية، فمؤلفات آخر الكلاسيكيين العرب، ثم تتطرق إلى نماذج من أشعاره التي تعرّض فيها إلى القضية الفلسطينية وحذر من مغبة احتلال فلسطين على يد الصهاينة وأخيراً تستعرض أهم النتائج التي تمخضت عن هذه الدراسة.

أسئلة البحث:

1. كيف يمكن فهم التزام الجواهري بالقضايا الوطنية والإسلامية بما فيها القضية الفلسطينية والتي شاعت في شعره شيوعاً كبيراً؟
2. كيف كانت نظرة الشاعر الجواهري تجاه القضية الفلسطينية قبل النكبة؟
3. ماذا استهدف الجواهري من استخدم مصطلح «النكبة» في أشعاره خاصة تلك التي قالها قبل احتلال فلسطين عام 1948؟

فرضيات البحث:

1. اعتنى الجواهري بالقضايا الوطنية، والقومية، والعربية، والإسلامية وعلى رأسها تطورات بلده العراق والقضية الفلسطينية واهتم بهما اهتماماً شاملاً حيث شارك المعنيين بهذه القضايا أفراحهم وأتراحهم وكان يرى في كل مناسبة فرصة ليطلق العنان للسانه ليسجّل المواقف التي كان يريدها ويحذر من مغبة المخاطر التي كانت تحيط بالدول العربية والإسلامية.
2. قرأ الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري معطيات الأحداث قبل وقوع النكبة قراءة واعية فأخبرمرارا عن مأساة 1948 قبل وقوعها وضياع فلسطين.
3. صرخ الجواهري من خلال قصائده بما أوتي من قوة في وجه الحكام العرب ونبّه الفلسطينيين من مغبة احتلال بلادهم على يد الحركة الصهيونية وكانت أشعاره في القضية الفلسطينية تلك الشعلة التي يحملها الشعراء في ليل الأمة.

خلفية البحث:

هناك دراسات مختلفة عن شخصية الجواهري وأسلوبه والظواهر المختلفة في شعره لما له من أهمية وشأن في الأدب العربي، وسلّطت الأضواء على جوانب مختلفة من شخصيته وأعماله الأدبية ولكننا لم نجد دراسة مستقلة تتطرق إلى القضية الفلسطينية قبل النكبة، لدى بحثنا في مجلات «اللغة العربية وأدابها»، و«الأدب العربي»، و«دراسات في العلوم الإنسانية»، و«فصلية لسان مبين»، و«دراسات في اللغة العربية وأدابها»، و«نقد أدب معاصر عربي»، و«آفاق الحضارة الإسلامية»، و«نقد أدبي»، و«پژوهش‌هاى ادبيات تطبيقي»، و«پژوهش‌نامه نقد ادبي وبلاغت»، و«پژوهش‌نامه نقد ادب عربي»، و«ادبيات پايداري»، و«ادبيات تطبيقي»، و«إضاءات نقدية»، و«پژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگي»، و«پژوهش‌هاي ادبي – قرآني» طيلة الأعوام العشرة الماضية. كما بحثنا في موقع «Irandoc.ir» التابع لوزارة العلوم والتعليم العالي والذي يعنى بالمقالات والأبحاث العلمية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية،لم يجد نفعاً كذلك. وكل ما وجدناه خلال بحثنا مقالات منها «الجواهري: حياته، مخزونه الثقافي وميزاته الشعرية» للدكتور «يحيى معروف» والتي طبعت عام 2006 في مجلة «دراسات في العلوم الإنسانية» و«التناقض في شعر محمدمهدي الجواهري» للدكتور «فيروز حريرچي» والتي طبعت عام 1391 هـ.ش في فصلية «دراسات الأدب المعاصر»، و«الشعراء العرب المعاصرون في إيران محمد مهدي الجواهري نموذجا» التي طبعت عام 1390 هـ.ش في فصلية «إضاءات نقدية» لكنها لا تفي بالغرض المنشود. وأيضا توجد مقالات أخرى عن الجواهري والقضية الفلسطينة لا تمت بصلة إلى موضوع هذه الدراسة.

الجواهري؛ حياته الشخصية والأدبية

«ولد محمد مهدي الجواهري عام 1900 للميلاد في النجف الأشرف» (الفاخوري، 1986، ص 507). اختلفت الروايات في التقدير الدقيق لتأريخ مولده، فبينما ذكر البعض بأنه ولد عام 1899 قال آخرون إنه ولد عام 1900 وقيل ايضاً إنه ولد سنة 1901 أو عام 1903، ويبدو لنا أن سبب هذا التناقض في تقدير تأريخ مولد الشاعر العراقي الكبير هو عدم تصريح الجواهري نفسه بالتأريخ الدقيق لولادته. والمتفق عليه أنه ولد في الأعوام الأولى من القرن العشرين في النجف الأشرف، وقد تحدر عن أسرة عريقة في العلم والأدب والشعر تُعرف بـ«آل الجواهر»، نسبة إلى باني مجدها الشيخ «محمد حسن» صاحب كتاب «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» وكان لهذه الأسرة، كما لباقي الأسر الكبيرة في النجف، مجلس عامر بالأدب والأدباء يرتاده كبار الشخصيات الأدبية والعلمية (بهاء الدين ومراديان، 2011، صص 15–14).

ونشأ الجواهري على والده العالم الأديب وتعلّم بالصحن العلوي في النجف الأشرف، وقرأ مقدماته الأولية على أخيه عبد العزيز والشيخ علي الشرقي، كما درس الحساب والبيان والمعاني على أساتذة آخرين. «فارتشف مناهل العلم واللغة والفلسفة، فدرس "الأجرومية" و"قطر الندى" و"ألفية ابن مالك" و"مغني اللبيب" و"شرح النظام في الصرف" و"الحاشية للملا عبد الله" و"شروح الشمسية في المنطق" و"المطول والمختصر في البلاغة" و"شرح اللمعة" و"مكاسب الشيخ الأنصاري"» (الجبوري، 1993، ص10).

قرأ القرآن الكريم وهو في سن مبكر وتم له ذلك بين أقرباء والده وأصدقائه، حيث خطط له والده وآخرون أن يحفظ في كل يوم خطبة من «نهج البلاغة» وقصيدة من ديوان المتنبي فيبدأ الفتى بالحفظ طوال نهاره منتظراً ساعة الامتحان مساءا بفارغ الصبر، وبعد أن ينجح في الامتحان يسمح له بالخروج فيشعر أنه خُلق من جديد، ثم يصاحب والده إلى مجالس الكبار في المساء. أراد له والده أن يكون عالماً لا شاعراً، لكن ميله للشعر غلب عليه. وفي سنة 1917، توفي والده، وبعد أن انقضت أيام الحزن عاد الشاب إلى دروسه وقرأ كل شعر جديد سواء أكان عربياً أم مترجماً من الغرب، وقال عن نفسه آنذاك: «بعد وفاة والدي انفردت بشخصي وتفردت بشخصيتي، مثلما ينبغي لكل مخلوق، قبل ذلك كنت مجرد ظل له ولوصايته المحكمة عليّ (الجواهري، 1988، ج1، ص 85).

وكان في أول حياته يرتدي العمامة وهي لباس رجال الدين حيث نشأ نشأةً دينيه محافظة، واشترك بسب ذلك في ثورة العشرين عام 1920 للميلاد ضد السلطات البريطانية معمّما فكان من الدعاة لها ويدعو ليقظة عراقية عربية ضد المستعمرين، ثم انتقل إلى بغداد حيث اشتغل مدة قصيرة في بلاط «الملك فيصل» الأول عندما تُوج ملكاً على العراق وكان لا يزال يرتدي العمامة، ثم هجر العمامة كما ترك الاشتغال في البلاط الملكي وراح يعمل بالصحافة بعد أن غادر النجف إلى بغداد، فأصدر مجموعة من الصحف منها جريدة «الفرات» وجريدة «الانقلاب» ثم جريدة «الرأي العام» وانتخب عدة مرات رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين.

ونظم شاعرنا الشعر في سن مبكر، متأثراً ببيئته واستجابة لموهبة كامنة فيه، واشتهر وملك الدنيا وهو لايزال شاباً في مقتبل العمر. لكن لم يبق من شعره الأول شيء يذكر، وأول قصيدة له كانت قد نشرت في شهر كانون الثاني عام 1921 وأخذ يوالي النشر بعدها في مختلف

الجرائد والمجلات العراقية والعربية، إلى أن تبوأ مكاناً مرموقاً بين شيوخ القريض في بلدته (الجواهري، ج1972،1، ص 15). «قيل عنه الكثير بدءاً من نابغة الشعر العربى، ومروراً بشاعر العرب الأكبر، وأمير الشعراء بعد شوقي، ووارث الشعر العربي وحافظه، ومتنبي العصر وربّ الشعر، وانتهاءً بألقاب وأوسمة أدبية قلّما حصلت وتحصل لشاعر عربي» (معروف، 2006، ص 105). والمعروف عنه اليوم هو أن محمد مهدي الجواهري يعتبر آخر الكلاسيكيين العرب وذلك بالرغم من أن الكثير من الملامح الرومانسية توجد في أشعاره.

وتوفي الجواهري في السابع والعشرين من تموز 1997 عن عمر ناهز الثمانية والتسعين بالعاصمة السورية دمشق بعد عشرين عاماً من الإقامة فيها، وقد شيعت دمشق جثمانه بانطلاق مسيرة ضخمة، تقدمها نائب الرئيس السوري ممثلاً عن الرئيس «حافظ الأسد» ورئيس مجلس الوزراء «عبد القادر قدورة» وعائلة الفقيد وشخصيات سياسية وثقافية وجمهرة غفيرة من العراقيين المنفيين، وقد اخترقت المسيرة شوارع دمشق في حي «السيدة زينب» (سلام الله عليها) حيث ترقد زوجته «أم كفاح» (حريرچي، 1391، ص115). وقد توفي الجواهري في الشهر الذي ولد فيه، وكان الفارق يوماً واحداً مابين عيد ميلاده ووفاته. فقد ولد في السادس والعشرين من تموز وتوفي في السابع والعشرين من تموز 1997.

ويقول في قصيدته «أيها المتردون»:

ولا تعجبوا أنَّ القوافي حزينة. فكلُّ بلادي في ثياب حداد

وما الشعر إلاّ صفحة من شقائها وما أنا إلاّ صورة لبلادي

(الجواهري، 1972، ج1، ص 439)

ولم تكن الدواوين التي صدرت للجواهري على نظام، ولم يكن الشاعر يلتزم بمنهج معيّن، فكثيراً ما أعاد في طبعة شعراً كان قد نشر في طبعات سابقة، وربما كان يحذف قصيدة ويضيف أخرى، أو يحذف أبياتاً ويزيد أبياتاً. نشر الجواهري أول مجموعة

شعرية له باسم «حلبة الأدب» عارض فيها عدداً من الشعراء المعاصرين والقدامى. وفي عام 1924 أعد للنشر مجموعة من شعره باسم «خواطر الشعر في الحب والوطن والربيع»، ثم أضاف إليها ما استجد له من شعر وبدأ طبعها سنة 1927 باسم «ديوان محمد مهدي الجواهري» وعندما أنجز الطبع سنة 1928 صدر بغلاف عليه اسم «ديوان بين الشعور والعاطفة» لصاحبه محمد مهدي الجواهري. وفي عام 1935 أصدر ديوانه الثاني تحت عنوان «ديوان الجواهري». كما أصدر عامي 1949 و1950 الجزء الأول والثاني من ديوانه في طبعة جديدة. وقد ضمّ هذا الديوان قصائده التي نظمها في الأربعينيات والتي برز فيها شاعراً كبيراً. وأصدر عام 1953 الجزء الثالث من الطبعة الثالثة من ديوانه، ولدى إقامته سبعة سنوات في «براغ» أصدر عام 1968 ديواناً جديداً سماه «بريد الغربة» وبعد عودته إلى الوطن أصدر عام 1969 ديوان «بريد العودة»، إلى أن أصدرت له وزارة الإعلام العراقية عام 1970 ديوان «أيها الأرق». وبالتالي أصدر ديوان «خلجات» عام 1971. ومن مؤلفاته تمكن الإشارة إلى «مختارات الجمهرة»، و«من كل ديوان أجمل ما فيه»، و«عمر بن أبي ربيعة»، و«الأخطل» و«ذكرياتي» (في جزأين)، و«جناية الروس والإنجليز في إيران» (ترجمة عن الفارسية)، «بين العاطفة والشعور»، «الجواهري في العيون من أشعاره» (الجواهري، 1972 م، ج 1،صص 21–11).

فلسطين قبل النكبة في شعرالجواهري

1. «الشباب المر» (1922م)

أقرت الأمم المتحدة الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1919 ما يعني الموافقة الضمنية مع وعد بلفور الذي قطعته بريطانيا بمفردها على أن يمنح اليهود وطناً قومياً لهم في الأراضي الفلسطينية. وقد حصل أول احتكاك بين العرب واليهود في هذا العام، إذ حاول الصهاينة الاستيلاء على البراق (الحائط المبكي) بالقدس الشريف، الأمر الذي أدى إلى احتجاج الفلسطينيين ضد اليهود، حيث تم إلقاء القبض على عدد كبير من المحتجين وتنفيذ حكم الإعدام في حق ثلاثة منهم في يوم مشهود عُرِفَ بـ«يوم الثلاثاء الحمراء». ودبّج الشعراء العرب في هذا الحدث قصائد كثيرة شجبوا فيها الاعتداء على القدس وانحياز سلطات الانتداب لليهود، وكان الجواهري واحداً منهم (بهاء الدين ومراديان، 2011، صص 335– 334).وكانت أوّل محاولته في هذا المجال قصيدته المعنونة بـ «الشباب المر» في ستة وعشرين بيتا. وكان الشاعر «محمد رضا الشبيبي» واحداً من الشعراء البارزين في النجف الأشرف في مطلع القرن، ووجد الجواهري أن يعارضه في قصيدة له عنوانها «في سبيل الشرق» ومطلعها:

لم يبق لي إلا الشباب وإنه ديباجة ضمن الأسى إخلاقها

فعارضه الجواهري بقصيدة «الشباب المر» عام 1922. وقد تنبأ بضياع فلسطين في وقت مبكر جداً، كما ضاعت الأندلس من قبلها واقتطع جزء من الأرض العربية والإسلامية، قائلاً:

لحقت فلسطين بأندلس أسى. والشام ساوت مصرها وعراقها

(الجواهري، 1972 م، ج 1، ص 181)

وعبر شاعرنا عمّا يثير شجونه لما يحدث في فلسطين، اذ يعود به للماضي المؤلم، وليس للماضي المشرق، حيث ضاعت الأندلس من يد المسلمين، محذراً من مغبة تكرار هذه الانتكاسة مرة أخرى. ويكتفي بهذه الإشارة الدالة، ولا يطيل في الموضوع. لكنه عام 1929 يعود ويتعمق في الموضوع ذاته في قصيدة «فلسطين الدامية».

2. «فلسطين الدامية» (1929م)

تتكوّن قصيدة "فلسطين الدامية "من ثلاثة وأربعين بيتاً، وقد افتتحها الجواهري ببيت عبّر فيه عن حزنه لما حدث لفلسطين من النكبات والأحداث وما حلّ بالعرب من ويلاتٍ، فقال:

لَوْ اسْتَطَعْتُ نَشَرْتُ الحُزْنَ وَالْأَلَمَا عَلَى فِلَسْطينَ مسوّداً لَهَا عَلَما

سَاَءتْ نَهَاريَ يَقْظَانًا فَجَائِعُهَا. وَسِئْنَ لَيْليَ إذ صَوَّرْنَ لي حُلُمَا

رُمْتُ السّكوتَ حِدَاداً يَوْمَ مَصْرَعِهَا فَلَوتُرِكْتُ وشَأني ما فَتَحْتُ فَمَا

(المصدر نفسه، ص 473)

واستمر مذكراً بضياع الأندلس من يد المسلمين، حيث خلّفت جرحاً لم يلتئم بعد، لأن ضياعها كان دليلاً حياً على العجز، والهزيمة، وأفول نجم حضارة بنت مجداً، وخلّفت تراثاً ضخماً للإنسانية جمعاء. وما المأساة الجديدة إلا امتداداً للماضي وكأن الأمة العربية كتب عليها أن تكون في انحسار دائم وهي في غفلة من أمرها. وقارن الشاعر وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع فقد الأندلس من أحضان العرب والمسلمين:

فاضَتْ جُرُوحُ فِلَسْطين مُذكِرةً جُرَحاً بأنْدَلُسٍ لِلآن ما الْتأمَا
وما يقصِّر عن حزن به جدة حزن تجدده الذكرى إذا قَدُما
يا أُمةً غرها الإقبالُ ناسيةً. إنَّ الزمانَ طوى مِن قبلِها أُمما

(المصدر نفسه)

ويظل الشاعر يهتّم بخلفية الأندلس، مستذكراً البيت الشعري الذي قال فيه « لحقت فلسطين بأندلس أسى» في قصيدة «الشباب المر» التي نظمها قبل سبعة أعوام ولعلّه يريد بهذا الاهتمام أن يستثير الهمم بوصف الأندلس حقيقة ماثلة، وشاهداً حيّاً على الهزيمة والانكسار. ويصرخ في وجه الأمة العربية والإسلامية من مغبة المؤامرة التي دُبرت لها ولفلسطين بالتحديد وتطبيقها على سائر الدول العربية بما فيها العراق وسورية:

سَيُلْحِقُون فِلسْطِيْناً بِأنْدُلسٍ. وَيَعْطِفُونَ عَلَيْهَا البَيْتَ وَالْحَرَمَا
وَيسْلَبُونَكَ بَغْدَاداً وَجَلَّقَةً وَيَتْرُكونكَ لَحْماً وَلَا وَضَمَا

(المصدر نفسه)

وفي الأبيات القادمة من القصيدة ذاتها يلقي باللائمة على الأمة العربية محملاً إياها ما ستفضي إليه التطورات بالقدس الشريفة من احتلال وغصب وتدنيس من قبل الصهاينة، ويبدو أنه يريد أن تشعر الأمة بتأنيب ضميرٍ لأنها ارتضت بالخصم الظالم حكماً لها، لكنه سرعان ما يغيّر نبرته ويحرّضها على حمل السلاح والثأر لفلسطين ووضع حد للمؤمرات التي حيكت لها:

يا أمةً لخصوم ضدّها احتكمت. كيف ارتضيتِ خصيماً ظالماً حكماً
بالمدفع استُشهِدي إن كنت ناطقةً أو رُمْتِ إن تُسمِعِي من يشتكي الصمما

(المصدر نفسه، ص 474)

ونرى من خلال هذه الأبيات أن الجواهري يكتب بحبر النار والدم، فهو لا يشجب ولا يشتكي ولا يناشد الأقوياء بالأعراف الإنسانية والمدنية بل كان الخيار عنده القوة. يقول اليحيى: «فالمظلمة بالمظلمة، والجريمة بالجريمة، والجروح قصاص، فإذا اتجه لحظة ما، إلى الاستنكار، كان استنكاره فضحاً لا احتجاجاً، وسخرية لا استجداءً» (اليحيى،2001،ص 152) واستمر في خطابه للأمّة العربية والإسلامية محرضاً إياها على مواجهة العدوّ وعدم التسامح معه فيقول:

إن التسامح في الإسلام ما حصدت منه العروبة إلا الشوكَ والألما
حلّتْ لها نجدة الأغيار فاندفعت لهم تزجي حقوقاً جمةً ودما
في حين لم تعرف الأقوامُ قاطبةً عند التزاحم إلا الصارمَ الخذما

(الجواهري، 1972 م، ج 1، ص 474)

ويظل يدعو إلى استرداد الحق بالقوة إلى أن يصل للغاية بضرورة التضحية من أجل الحيلولة دون ضياع فلسطين على غرار الأندلس ومؤكداً أنه لا سبيل لأمّته إلا القتال وحمل البندقية في سبيل مقارعة العدو، ثم يرسم صورة من الانتصار الموعود إذا ما قامت الأمة بثورتها لإعادة فلسطين وتحرير ما تم احتلاله على يد عصبة الصهيونية العالمية:

فَيَا فِلسطِينُ إنْ نُعْدَمكِ زاهرةً. فَلَسْتِ أَوَّلَ حقٍّ غِيْلَـةً هُضِمَـا
سورٌ مِنَ الوَحْدَةِ العَصْماء راعَهُمُ فَاسْتَحْدثُوا ثَغْرَةً جَوْفَاءَ فَانْثَلَمَـا
هَزَّتْ زَرَايَاكِ أَوْ تاراً لِنَـاهِضَةٍ في الشَّرْقِ فَاهْتَجْنَ مِنها الشَجْوَلا النَغَمَا

(المصدر نفسه، صص 475 – 474)

«ويشير الجواهري في الأبيات الأخيرة من هذه القصيدة إلى تظاهرة العرب في فلسطين عام 1919 رداً على مظاهرة اليهود الذين يشتمون بني المسلمين» (عزيز، 2009، ص 4)، فيرسم صورة عن انتفاضة الشباب الذي يأبى أن يصبح الإنسان العربي الحر مهضوماً، حيث وحّد الشباب الأعلام والهتافات وثأر ضد العدو الغاصب، غير آبه بإرهاب الصهاينة. فيقول:

ثَارَ الشَّبَابُ وَمَنْ مِثْلُ الشَّبَابِ إذا رِيْعَ الْحَمَى وشُوَاظُ الغِيْرةِ احْتَدَمَا
يأبى دمٌ عربـيٌ فـي عروقِـهِمُ. أنْ يُصبِحَ العربـيُّ الحرُّ مُهتَضَمَا
في كل ضاحيةٍ منهم مظاهرةٌ موحدين بـها الأعـلامَ والكلمـا
لا يأبهون بإرهابٍ إذا احتدَموا. ولا بِمَصْرَعِهِمْ إن شعبُهم سَلِمـا

(الجواهري، 1972 م، ج 1، ص 475)

3. «يوم فلسطين» (1938م)

مرت فلسطين بأحداث جسام ما بين عامي 1936 و1939 كان أشدها الإضراب العام الذي دام ستة شهور في وجه الانتداب البريطاني احتجاجا على تشجيعه الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتسهيله تهويد الأرض، وظلمه لأهل البلاد الأصليين، وقد أتيح للشاعر عام 1938 أن يكون في دمشق وأن يسمع بالأحداث عن قرب ويتفاعل معها، فنظم قصيدته «يوم فلسطين» المكونة من ثمانية عشر بيتا، وقد وجد الشاعر فيما يجري، ما يتطلع إليه من مُثُل وما يعيد لهذه الأمة مجدها الغابر فأثنى على شباب فلسطين الذين هبوا لنصرة وطنهم، وتطهير بيت المقدس مما لحقه من دنس (حوّر، 1998، ص 81) ويستهل الشاعر هذه القصيدة بـ"شيئاً من الزهو والفخر" ثناءً على شباب فلسطين. وإن هذا هو عهد الشاعر بأبناء فلسطين، منذ تعرضت بلادهم للغزو والاستيطان، وكم كان الشاعر فخوراً بما يجري على أرض الواقع، بحيث أصبح مضرب المثل، يقتدى به، ويُعتز بمآثره:

هبت الشَّامُ عَلَى عَادَتِهَا تَمْلأ الأَرضَ شباباً حَنِقا
نادباً بيتاً أباحوا قُدْسَـهُ في فِلَسْطينَ. وشملاً مِزَقا
بَرَّ بالعَهْدِ رجالٌ أُنُفٌ أَخَذَ الشّعبُ عليهم مَوْثِقَا
شرَفاً يومَ فِلسطينَ فقد بلغ القِمَّةَ هذا المرتقى

(الجواهري، 1972 م، ج 2، صص 342 – 341)

ولكن الشاعر يرى أنه لايكفي أن يهبّ الشعب الفلسطيني فقط، وأن شباب فلسطين وحدهم غير قادرين على مواجهة الخطر المحدق بهم، والشر المبيت لهم، فأدرك الجواهري بأن هدف العدو لايقتصر على احتلال فلسطين فحسب، وأن الدول العربية في منطقة الشرق الأوسط وبلاد الشام لن تكون في مأمن مما يحيط بها. لذلك أيقن الشاعر بأن الأمر لا يتوقف على شباب فلسطين وحدهم، وإنما هم بحاجة ماسة إلى من يقف بجانبهم، ويساندهم دفاعاً عنهم، وعن نفسه في آن واحد. وبما أنه كان يقطن دمشق، فقد التفت إلى شعبها مخاطباً إياه ومذكراً بأن هنالك دماء عربية تسفك على أرض فلسطين، دفاعاً عن أرض الأنبياء والأمة العربية والإسلامية:

اسمعي يا جِلَّقُ !! إن دماً !. في فِلَسْطينَ هضيماً نطقا
عربيـاً سـال من أفئـدةٍ. عربيـاتٍ تلظت حُرَقـا
صبغ الأرضَ وألقى فوقهـا. من فداءٍ وإباءٍ شفقا

(المصدر نفسه، ص 342)

ويؤكد في الأبيات التالية أن هذه الدماء تنادي جلق وكأنه يريد القول «إياك أعني واسمعي يا جارة»، فهو ينادي جميع أبناء الأمة العربية والإسلامية ليهبوا ويدافعوا عن قضيتهم المركزية. وهذا الدم هو نخوة مهتاجة كم احتاجت إلى مثله أمم رازحة تحت نيران مستعمريها. ومثل هذه النخوة لاتوجد عند الأمم الأخرى:

اسمعي يا جلقُ إن دَماً !. في فِلَسْطينَ ينادي جِلَّقا
اسمعي: هذا دمٌ شاءت له. نخوةٌ مهتاجةٌ أنْ يُهْرقا

شدَّ ما احتاجت إلى أمثاله. أممٌ يُعوِزُها أن تُعْتَقا

(المصدر نفسه)

ثم يشرح بأن هذه الدماء هي شاهد عدل على الظلم وهو ظلم لايمكن للتأريخ تكذيبه، لذلك ينبغي على جميع الشعوب العربية والإسلامية أن تحمل هذا الدم فتجعله حدقاً لعيونها:

شاهدٌ عدلٌ على الظلم إذا. كَذَبَ التاريخُ يوماً صدقا

احملي ما استطَعْتِ من حبّاته واجعليها لعيونٍ حَدَقا

(المصدر نفسه)

ويستمر الشاعر برسم الصور البطولية لاستنهاض الأمة الإسلامية نصرةً للقدس الشريف، فيرسم صورة حية للأحداث، ممثلة في التضحية والفداء؛ فالطفل يحذو حذو أبيه الذي سقط شهيداً، والأم يسوؤها ألاّ تحظى بشرف الشهادة، وأن يسبقها غيرها إليها. وبالتالي يؤكد أن ضحايا هذا النضال الذين نعتبرهم «شهداء عند ربهم» أعلنوا بأن شعباً جديداً قد خلق:

يَسْقِطُ الطّفلُ عَلَي وَالِدِه. وَارِداً مَـوْرِدَه مُعْتَنِقَــا

وتَمرُّ الأمُّ غَضْبى سَاءَهَا. في سِبَاقٍ مِثْلِهِ أنْ تُسْبَقَا

هكذا تُعْلِنُ صرعى أمةٍ. أن شعباً من جديدٍ خُلِقا

(المصدر نفسه)

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو: هل صدقت نبوءة الجواهري المتمثلة في مقولته «أن شعباً من جديدٍ خُلِقا» فياترى من هو هذا الشعب الذي بشرت به كواكب الشهداء؟ في اعتقادنا هذه النبوءة تحققت في عصرنا الراهن بحيث نشاهد المجاهدين ورجال المقاومة الإسلامية المتمثلة في حزب الله اللبناني وحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين من «حماس» إلى «الجهاد الإسلامي» وسائر الفصائل الجهادية التي اشتد عودها بعيد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، نشاهدهم يتوقون للذود عن الأقصى والدفاع عن هويتهم وكرامتهم.

4. «ذكرى وعد بلفور» (1945م)

عاد الجواهري وخاطب الفلسطينيين مرة أخرى ليبعث فيهم الشجاعة والإقدام ويسوقهم أكثر إلى ميادين النضال وتحرير أراضيهم ويحذرهم من مغبة المصير السيء الذي ينتظر بلادهم بعد أن زادت هجرة اليهود إليها، وذلك في قصيدة «ذكرى وعد بلفور» في ستة وخمسين بيتاً، التي ألقاها في الحفل الذي أقيم في العاصمة العراقية بغداد عام 1945 بمناسبة الذكرى السنوية لوعد بلفور عام 1917م، وأدرك الشاعر فيها ما أحاط بفلسطين وما يهددها من مخاطر، داعياً الفلسطينيين للصمود والتضحية في سبيل وطنهم، وامتزج الدعوة بحالة من الحزن واليأس (شعبان، 1997، ص 126)، لكنه في هذه القصيدة التي قالها بعد مضي ستة أعوام من مناشدته «جلق» والشعوب العربية في قصيدة «يوم فلسطين» نصرة للأقصى، طلب من أبناء فلسطين أن يعتمدوا على أنفسهم، ويوصيهم بالصبر، وأن يطلبوا الموت لتوهب لهم الحياة، فقال مخاطباً إياهم:

خُذي مَسعاكِ مُثْخنةَ الجِراحِ. ونامي فوقَ داميةِ الصِفاحِ

ومُدِّي بالممـاتِ إلى حيـاةٍ. تسَرُّ وبالعَناءِ إلى ارتياح

وقُرّي فوقَ جَمرِكِ أو تُرَدِّي. من العُقبى إلى أمرٍ صُراح

وقُولي قد صَبَرْتُ على اغتباقٍ ماذا لو صَبرتُ على اصِطباح

(الجواهري، 1972 م، ج 3، ص 131)

ووقف الشاعر محذراً مما يستشعره من ليل يحيط بالقضية الفلسطينية، ومن أخطار توشك أن تفتك بها، وذلك قبل عامين ونصف من نكبة فلسطين، واستمر في قصيدته يطلب من فلسطين أن تجود بالضحايا كما تجود بالأضاحي، لأن الحق تبذل فيه الدماء، مَثَّله مثلُ المروءة والسماح، والشعوب التي تبني مجدها بالدماء يرسخ مجدها مدى التاريخ:

فكُوني في سماحِكِ بالضحايا. كعهدكِ في سماحِكِ بالأضاحي

فإن الحقَّ، يقطُرُ جانبـــاهُ. دَماً، صِنوَ المُروُءةِ والسمـــاحِ
و تأريخُ الشُعوبِ إذا تَبَنّـى. دمَ الأحـرارِ لا يمحـوهُ مـاحـــي

(المصدر نفسه)

ثم يسلّم على فلسطين، ويصف مشارفها والشوق إليها وكيفية إقبال الغزاة عليها:

فِلَسْطينُ سَلامُ اللهِ يَسري. على تلك المشارِفِ والبطاحِ
رأيتُكِ مِن خِلال الفَجرِ يُلقي. على خُضْر الرُّبا أحلى وِشاحِ

(المصدر نفسه)

ويستمر الشاعر في مخاطبة فلسطين التي هي «أم القدس»، واعتادت النضال والكفاح منذ القديم، حيث كانت ساحة للنضال والبطولة، «فقد دارت على حدودها أعظم المعارك الحاسمة في تاريخ المسلمين مع الروم، حيث انتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيماً، فقد مثَّلَ نقلة عسكرية روحية وحضارية في تاريخ الدولة الإسلامية بانتصارها على أقوى قوتين في العالم آنذاك، لذا فالبطولات العربية كانت قوية صارمة بيد "صلاح الدين الأيوبي" وبطشه. كما كانت سابقاً بيد "بخت النصر" (عزيز، 2009، ص 5). ويفيد من الماضي لإضفاء الضوء على مايجري في فلسطين من مؤامرات، رابطاً بينهما ربطاً قوياً ليزرع الأمل في قلوب المقاتلين الفلسطينيين ويعطي بشائر الأمل لحاضرنا في انتصارهم على عصابة الصهاينة التي جاءت من ربوع العالم لاحتلال فلسطين وإقامة كيان لها في الأراضي المقدسة وهذا ما وعدنا الله به في سورة الإسراء: «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا(7)» (الإسراء / 7-4). و«سورة الإسراء قد خلدت علاقة المسلمين بالمسجد الأقصى، وإن المسجد للمسلمين حيث أسرى بنبيهم (ص) إليه، وتقرر السورة بركة أرض الشام، ومنها أرض فلسطين، وتبدأ بعد ذلك في الحديث عن الفساد والعلو لليهود والتدمير الذي سيلحق بهم، وأنهم سينازعون المسلمين أرض الإسراء والمسجد الأقصى» (التميمي، 2006، ص 30). ولهذا يستذكر الجواهري أيام فلسطين التي كلها كفاح ويريد منها ألّا تضطرب لأن مستقبلها مضيء، رغم ما تتعرض له من مصائب:

أ أمَّ القُدْسِ والتأريخُ دامٍ. ويومُكِ مثلُ أمسِكِ في الكفاح
ومَهدُكِ وهو مهبِطُ كُلِّ وحيٍ. كنعشكِ وهو مُشتَجرُ الرِماح
ووادي التِيهِ إنْ لم يأوِ موسى. فقد آوى الصليب على صلاح
وذكرى بختَ نُصر في الفيافي. يُجَدِّدُها (ألنْبي) في الضواحي
شَدَدْتِ عُرى نِطاقِكِ فاستمِري. لا يثقُلْ عليكِ فتُستباحي

(الجواهري،1972م، ج 3، ص 132)

ويطلب من فلسطين ألاّ تعتمد على العرب، فهم لا يتقنون إلاّ البكاء والنواح، وهم أصحاب أقوال لا أفعال، وتقتصر نصرتهم لها على ضرب الكف بالكف من الحزن:

ولا تُغْنَيْ بِنا إنّا بُكاةٌ. نَمُدُّكِ بالعويل وبالصياحِ
ولا تُغْنَيْ بِنا فالفِعلُ جَوٌّ. مَغِيْمٌ عِندَنا والقولُ صاحِ
ولن تَجدي كإيانا نصيراً. يَذُقُّ من الأسى راحاً براحِ

(المصدر نفسه)

ويتمنى الجواهري لفلسطين ألّا تصبح كما يكون العرب عليه اليوم بحيث كانوا بالأمس يلهون وأصبحوا اليوم في صفوف العاذلين ويرى أن حال الأمة لا يسر لأنها زيفت التاريخ وزيفت الواقع الفاسد الذي غلّف قبيحه بالحسن:

أعيذُكِ مِن مَصيرٍ نحنُ فيه. لقد عُوّذتِ مِن أجلٍ مُتاح

و وضعٍ أمسِ كُلُهـمُ لواهٍ. به واليـوم كلُهـم لواحـــي

(المصدر نفسه، ص 133)

وفي إشارة إلى التصريحات الرنانة التي يطلقها بعض زعماء العرب، يقول الجواهري كم من هذه التصريحات التي تبدو قوية ويتفنن قائلها في إطلاقها وكم من حلف تشكل ولكننا لانعرف عمّا إذا كان انعقاده بحق وبجد أم مزاح. وقد لاحظ أن حقنا لايزال يُرجّى بالتماس بينما باطل عصابة الصهاينة ينفّذ بقوة السلاح، ويالعجب من أمر حليف يكون لحليفه بالمرصاد بغية إيقاع الهزيمة به:

و تصريحٍ يُمَطّطه قويٌّ. كَلَوْحِ الطّينِ إذ يدحوه داحي

وحلفٍ لستُ أدري مِن ذُهولٍ. أعن جِدٍّ يُدَبَّرُ أم مِزاح

لنا حقٌ يُرجَّى بالتمـــاسٍ. وباطِلُهمْ يُنفَّذُ بالســـلاح

ولستُ بعارِفٍ أبداً حَليفاَ. يهدِّدُه حليفٌ باكتسـاح

(المصدر نفسه، ص 134)

وجعل الجواهري من ذكرى وعد بلفور زمانا لإطلاق نذيره وتحذيره لفلسطين من النيات الخبيثة والأساليب الأجنبية والمؤامرات الخطيرة التي تحاك ضدها، فوقف يصرخ مما يكاد يحدث لأولى القبلتين وضياعها بالكامل. ويلحّ الجواهري على أهل فلسطين أن لا ينساقوا وراء أمتهم وما ترفعه من شعارات، لأنه يخشى عليهم من القادة العرب الذين يدَّعون الوطنية لكنهم لايقدمون إلاّ ضرراً لأمتهم:

فلسطينُ تَوَّقيْ أنْ تكونـي. كما كُنَّا بمَدرجَةِ الرياحِ

وأنْ تضَعي أمورَكِ في نِصـابٍ. يوقَّرُ او يطَفَّفُ باجتـراح

وهابِي أن تُمدَّ إليكِ مِنَّـا. يدُ المتضارِبين على القِداح

فكم هاوٍ أَجَدَّ لنـا جُروحـاً. بدعوى أنَّه آسي جـراح

(المصدر نفسه)

5. «يافا الجميلة» (1945م)

وفي خضم احتدام المؤامرات الصهيونية على فلسطين، دعي الشاعر الجواهري عام 1945إلى مدينة «يافا» لإقامة أمسية أدبية وشعرية هناك. وقال قصيدة بالمناسبة تحت عنوان «يافا الجميلة» المكوّنة من اثنين وعشرين بيتاً والتي ألقاها في الحفل التكريمي الذي أقيم على شرفه في المجمع الثقافي في «يافا»، وكان فيه العديد من الوجوه الفلسطينية البارزة وأقطاب «يافا» وشخصيات كبيرة (الجواهرى، 1988، ج1، ص428) حيث ابتدأ قصيدته الفريدة قائلا:

بـ «يافا» يَوْمَ حُطَّ بِهَا الرّكَابُ تَمَطّر عَارِضٌ ودَجَا سَحَابُ

(جواهري، 1972 م، ج 3، ص 105)

ويصف الشاعر رحلته فيقول «...لقد كانت رحلةً من رحلات العمر لا تنسى. مع هذا – وسامحوني أن أقول–: يا ليتني لم أرَ (فلسطين الجنة)، ولو أن وشيجتي بها وشيجة بشار بن برد بالأشياء والعوالم، بالأذن لا بالعين، لكان ذلك أفضل، ولكان وقع الفاجعة عليَّ أقل. رأيت فلسطين العربية، رأيت الجنان، ولمست رهبة المسجد الأقصى، ورأيت يافا الجميلة الغافية على البحر، وحيفا، ورأيت الفردوس المفقود بكل معنى الكلمة، الذي أحللنا فيه عدواً مستذئباً وخرجنا منه أذلاّء مهزومين، إنه شيء فظيع لا يصدَّق» (الجواهرى، 1988، ج1، ص ۴۲۸). فعبر في قصيدته عن مشاعره الصادقة تجاه فلسطين وأهلها ووصفها وصفاً رومانسياً، وشدّد على الروابط القومية القوية التي تجمعهم مع الشعب العربي في العراق وبقية الشعوب العربية الأخرى، برغم عوامل الفرقة والتشتت. فبدأ بوصف جمال هذه المدينة المطلة على البحر والأجواء الماطرة الرومانسية التي استقبلته عند نزوله من الطائرة، لكنه لا يخفى بنفس الحال، الظروف الصعبة التي تمر بها المدينة فهي على رغم كل ما فيها من جمال وروعة تعاني ما

تعاني من جور وتآمر عليها وتخطيط للفتك بها, فهي (غادة يلفّها ليل مريب)، ولايوجد نور في هذا الليل المظلم، وحتى الرذاذ الذي ينعش القلوب يعتريها منه اضطراب. كما وصف يافا بـ «حالِمةٍ يُجلِّلُها اكتئابُ»:

ولفَّ الغادةَ الحسناءَ ليلٌ. مُريبُ الخطوِ ليسَ به شِهابُ
وأوسعَها الرَّذاذُ السَّحُّ لَثْماً. فَفيها مِنْ تحرُّشِهِ اضطِرابُ
ويافا والغُيومُ تَطوفُ فيها. كحالِمةٍ يُجلِّلُها اكتئابُ

(المصدر نفسه)

وينتقل الشاعر إلى وصف الشمس محبوسة خلف الغيم حيث تشرق تارة وتحجب تارة أخرى، معبّراً عن حالة الريبة والاكتئاب التي تلف المدينة:

كأنَّ الجوَّ بين الشمسِ تُزْهَى. وبينَ الشمسِ غطَّاها نِقابُ
فؤادٌ عامِرُ الإيمـــانِ هـاجَتْ. وساوِسُـهُ فخـامَرَهُ ارتيـــابُ

(المصدر نفسه)

ولدى انبهاره بجمال هذه المدينة وأمواج البحر والأجواء الماطرة، يثني على فلسطين وسائر مدنها اللواتي يصفهن بجمال يافا:

وقفتُ مُوزّعَ النَّـــظَراتِ فيهـــا. لِطَرفي في مغَانيها انْسيابُ
..فقلتُ وقد أُخِذتُ بسِحر يافا. وأترابٍ لـيافا تُستطـــابُ
فلسطيـنٌ، ونعمَ الأمُ، هــذي. بَنائكِ كلُهـا خُوْدٌ كِعـابُ

(المصدر نفسه)

وبعد وصفه رحلته بالطائرة من الزوراء في العراق إلى فلسطين، يشم هواءها كأنه طيب الفردوس وتسحره أرضها المفروشة بالزهور، لكن سرعان ما تغيب هذه الفرحة ويستولي الحزن على نفس الشاعر لتمزيق الوطن العربي الواحد بينما لايرى إلاّ أرضا واحدة وشعبها واحد، سواء أكان بالعراق أو في فلسطين، وحتى ينطقون بلغة واحدة ويقرؤون الكتاب نفسه:

ولمّـا طبَّـقَ الأرَجُ الثنـايـا. وفُتِّحَ مِنْ جِنانِ الخُلدِ بـابُ
ولاحَ اللُّدُّ مُنبسِطاً عليهِ. مِن الزَهَـراتِ يـانِعـةً خِضـــابُ
نظَرْتُ بمُقلةٍ غطَّى عليهـــا. مِن الدّمعِ الضليلِ بها حِجـابُ

إلى أن يقول:

ولا افترقَتْ وجوهٌ عن وجوهٍ ولا الضّادُ الفصيحُ ولا الكِتابُ (المصدر نفسه3، ص 106)

ويستمر الشاعر يعبّر عن تضامن الشعب العراقي مع الشعب الفلسطيني، ويؤكد بأن الهموم والقضية الفلسطينية توحد الشعبين، وأن دماء جروح أبناء الشعب الفلسطيني تسيل في عروق أهله في العراق:

فيا داري إذا ضاقَت ديارٌ. ويا صَحبيْ إذا قلَّ الصِحابُ
ويا مُتسابِقِينَ إلى احتِضاني. شَفيعي عِندَهم أدبٌ لُبـابُ
..ثِقوا أنّا نُوَحِّدُنا همومٌ. مُشارِكــةٌ ويجمـعُنــا مُصــابُ
..وسائلةٌ دَماً في كلِّ قلبٍ. عــراقيٌّ جُروحُـكم الرِغـابُ (المصدر نفسه، صص 107- 106)

ويعود مرة أخرى إلى التراث والقواسم المشتركة بين الشعبين العراقي والفلسطيني حينما كانت هذه الأرض واحدة ولم تتجزأ إلى دويلات، متفائلاً بأن تلك الحال لا بد أن تعود مستقبلاً:

يُزَكينا من الماضي تُراثٌ. وفي مُستَقْبَلٍ جَذِلٍ نِصابُ

(المصدر نفسه)

وعندما يحين وقت العودة إلى العراق يضيق بالوداع ويفقد مهجته، لكن الذي يعزّيه أنه مفارق أهله في فلسطين إلى أهله بالعراق وعائد من أرضه إلى أرضه:

لئنْ حُمَّ الوَداعُ فضِقتُ ذَرعاً. به، واشتفَّ مُهجتيَ الذَّهابُ

فمِنْ أهلي إلى أهلي رجوعٌ. وعنْ وطَني إلى وطني إيابُ

(المصدر نفسه)

6. «اليأس المنشود» (1947م)

ومع اقتراب يوم النكبة، يصعّد الجواهري من لهجته وتحذيره مما سيلحق بفلسطين، إذ بعد عامين من نظمه قصيدة «ذكرى وعد بلفور» وقبل عام من حلول كارثة النكبة حيث أصبح احتلال الأرض المباركة شبه محسوم، عبّر الشاعر عن حالة اليأس التي بلغتها القضية الفلسطينية بقصيدة «اليأس المنشود» أو «فلسطين بين العرب والصهاينة» التي قالها في شباط عام 1947، وجاءت في اثنين وخمسين بيتاً. لكن اليأس الذي يتحدث عنه الشاعر في هذه القصيدة بعيد كل البعد عن اليأس الذي يتبادر للذهن للوهلة الاولى ألا وهو الاستسلام والخنوع، بل إنه نظر إلى اليأس من كل الوعود والحلول، والآمال الكاذبة التي يمنى بها العرب من قبل أعدائهم وهذا هو اليأس الذي يدعو إليه الشاعر.

ردوا إلى اليأس ما لم يتسع طمعا. شرّ من الشرّ خوفٌ منه أن يقعا

شرّ من الأمل المكذوب بارقه. أن تحمل الهمّ والتأميل والهلعا

(المصدر نفسه، ص 189)

وأراد بدعوته إلى اليأس والابتعاد عن الآمال الكاذبة، أن يشجّع أبناء الأمة الإسلامية على الاعتماد على قدراتها الحقيقية ومواجهة العدو بدلاً من الحوار معه والدوران فى فلك أجندته واسترضائه. وقد ركّز الجواهري هنا على الاندفاع خارج الحلول السلمية، وهو ما أراده من الدعوة إلى اليأس وقطع حبال الأمل بغير السلاح. وبما أن في هذه الدعوى من مجازفات ومخاطر، فإن الجواهري لم يعدم الشواهد عليها فى الأزمان المنصرمة. ويستذكر الثورة الفرنسية التي تحدت الظلم وانتصرت عليه، ويستشهد أيضاً بـ«طارق بن زياد» الذي تحدى حكام الأندلس بعدد قليل من جنوده المؤمنين، فانتصر عليهم:

هذا هو الأمَلُ المزعومُ فاقتَرِعُوا. واليأسُ أجدَرُ لو أنصَفتَ مُقتَرَعا

اليأسُ أطعَمَ بالأشلاءِ مِقصَلةً. عدلاً وطوَّحَ بالبستيل فاقتلعا

وطارقٌ منه أعطَى النصرَ كوكَبُة. نزراً وعَدَّى إلى الأسبانِ فانَدفَعَا

(المصدر نفسه)

ولعل الجواهري كان يدرك ما يدور في الأوساط الدولية، كما يعرف الموقف العربي إزاء الحدث المأساوي في فلسطين، ولذلك أشار في الأبيات التالية إلى أنه لا أمل في إنقاذ فلسطين، لأن أمرها انتهى من بعيد، منذ كشفت بريطانيا عن نواياها السيئة بوعد بلفور، وبما أعدته من خطط لتنفيذه، فبات يهجو من يندب فلسطيناً ويقول:

يا نادِبينَ " فِلَسطينا " وعِندَهُمُ. عِلْمٌ بانَّ القضاءَ الحتمَ قد وَقعا

كم ذا تُلحُّون أن تَستَوقِدوا قَبَساً. من الرَمادِ ومِمَّن ماتَ مُرتَجَعا

كَفَى بما فاتَ مما سميت أملا. من الحُلول التي كيلتْ لكُم خُدعا

جيلٌ تَصَرَّمَ مـذ أبْدَى نَواجذَه. وعدٌ لبلفورَ في تهويدِها قَطعا

(المصدر نفسه، صص 190 – 189)

ولعل المخاطب يقع في شيء من التناقض، بين اليأس المنشود واليأس المحبط، وذلك عندما يعتبر الجواهري احتلال فلسطين بالأمر المحسوم منذ وعد بلفور وأن ما نراه الآن هو نهاية المطاف وليس بدايته، بينما نجد الكثير من الآيات في القرآن الكريم تتحدث عن «العمل» و«الأمل» و«المثابرة» وتحثُ المؤمنين على القيام بواجبهم. ومنها قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (آل عمران: 200) وقول الباري تعالى إذ خاطب نبي الرحمة "محمد" (ص)

عندما بدأ الياس يداعب قلبه «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ» (الأحقاف: 35) وكذلك: " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " (محمد "ص"– 7). ولذلك نرى الشاعر الذي تعلّم وتثقّف في حوزة النجف الأشرف العلمية سرعان ما يعود إلى رشده، وتظهر ثقته بأمته، فيتراجع عما صدر منه، انطلاقاً من يقينه بأن الفجر لابد أن يطلع مهما طال الليل، وأن النصر آت وإن كثرت الهزائم، وقسا الدهر وكأنه يستذكر أبيات الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي في قصيده «إرادة الحياة»:

إذا الشّعبُ يَوْمَاً أرَادَ الْحَيَاةَ فـلا بـدّ أن يستجيب القدرْ

ولا بُدَّ لِلَّيْلِ أنْ يَنْجَلِي وَلا بُدَّ للقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِر

(الشابي، 2000، ص 70)

فيقول الجواهري:

يا نادبينَ فلسطيناً صدعتُكُمُ. بالقول لا مُنكَراً فَضْلاً لكم صَدعا

ولا جَحوداً بأن الليلَ يُعقبه فَجرٌ تفجَّرُ كما الشمس مُطَّلَعا

ولست أنكِرُ أن قد قارَبَتْ فُرَصٌ واوشكت مثقلاتُ الدَهر ان تَضَعا

(المصدر نفسه، ص 191)

ثم يزيل القناع عن تخاذل القادة العرب ويكشف أساليب القمع والاضطهاد للشعوب العربية على أيدي حكام مستبدين، ليسوا أهلاً للزعامة محملاً إياهم الهزائم التي تلحق بالأمة العربية. وينتقد سياسة التطبيع والقبول بالأمر الواقع، وسخّر من الحلول الاستسلامية، داعياً الحكام إلى التعقل ومراجعة الواقع بوعي ومسؤولية ثم العودة إلى شعوبها لإنصافها ومحاورتها في مناخ ديمقراطي سليم، كي تضطلع بمهامها التاريخية في معركة المواجهة والمصير مع أعدائها التاريخيين. ووصف الحكام سبب الأزمة والهزائم وذلك للحط من شأنهم أمام الجماهير وتثوير الشعب عليهم والإطاحة بهم، وأيضاً من أجل إحداث تأثيرات عميقة في النفوس:

ونحن ما نحن قطعانٌ بمَذْأبَةٍ. تساقَطت في يدَي رُعيانِها قِطَعا

في كل يومٍ زعيمٌ لم نجدْ خَبَراً. عنه ولم ندر كيف اختيرَ واختُرِعا

أعطاهموا ربُّهم فيما أعدَّ لهُم. من الولائم صَفّوا فوقَها المُتَعا

كأسَينِ كاساً لهم بالشُهد منزعةً. وللجماهير كأساً سَمُّها نَقَعا

(المصدر نفسه، صص 192– 191)

وفي المقطع الأخير من القصيدة، يستحضر الجواهري التراث القديم لأمته الغني من الأمجاد والانتصارات. فإذا هو تراث يتسم بالحمية التي لا هوادة فيها إذا ما مس جانبهم، أو اعتدى عليهم معتدٍ. ويقارن بين الماضي المشرق وبين الحاضر المحزن، ويتسائل استنكارياً دون أن ينتظر جواباً، لأنه غير متوافر في أمته حينها:

من ذا يرُدُّ لنا التاريخَ ممتلِئاً. عِزاً وإن لم نُرِدْ ردّاً ومرتَجَعا

كانوا يذمُّون ربّاً بالعصا قُرِعا. ويغضَبون لأنفٍ منهم جُدِعا

ويبعثَون قِتالاً أنَّ " قُبَّرةً ". ضيمَت وأن بَسوساً ذيلُها قُطِعا

وكانَ من فتْحِ عمّوريةٍ مَنَعت. حُماتَها حَوَّمَ العقبان أنْ تَقَعا

(المصدر نفسه)

وهكذا ظهر الجواهري من خلال القضية الفلسطينية أديباً وطنياً وإنسانياً، فكان بذلك لسان الأمة المعبّر عن قضاياها وتطلعاتها في التحرر والوحدة، حيث مجد بطولات شعوبها، ودافع عن حقوقها، كما ندد بالغاصبين الظالمين، ونعى عليهم جرائمهم، وكان حرباً على المستسلمين للأجنبي الدخيل.

1. «ناغيت لبناناً» (1947م)

وفي أواخر عام 1947 قبيل نكبة فلسطين، عندما زار الشاعر والرئيس اللبناني الشيخ «بشارة الخوري» العراق، استقبله الشاعر محمد مهدي الجواهري بقصيدة بعنوان «ناغيت لبناناً»، التي قرأها في الحفل الرسمي الذي أقامته أمانة العاصمة العراقية للضيف اللبناني، تحدث فيها عن لبنان الهوى، والجمال وعن بشارة الخوري الرئيس والشاعر في القصيدة التي مطلعها:

ناغيت « لُبناناً » بشِعـريَ جِيلا. وضفرتـه لجبينهِ إكليلا

(المصدر نفسه، ص 241)

وتحدث شاعرنا في ذكرياته عن هذه القصيدة قائلاً: «وكان مسك الختام –كما يقال– منها ما يختص بفلسطين، وربما كان أبدع وأفخم ما في القصيدة كلها، مما استوجب النقيضين: أن يعجب، بل أن يهتز لها "عبد الإله" المسؤول الأول في الدولة، عما فيها، وبخاصة فإن حصة بريطانيا شبه المسيطرة على الحكم والحاكمين، ثم أن تغضب السفارة البريطانية، فتقدم احتجاجها على تلك الحصة، ذلك أن الحصة كانت رسمية وبكل معنى هذه الكلمة، ثم ألا ينتهي الأمر بهذا كله، بل أن ينتزع عبد الإله من عنق رئيس الديوان الملكي –آنذاك– تحسين قدري وسام الرافدين المذهب، ليخلعه علي» (الجواهرى، 1988، ج1، صص 478و479). فما كان من بشارة الخوري إلّا أن نزع وسام «الأرز» من على صدر وزير دفاعه اللبناني وحلى به صدر الجواهري تعبيراً منه عن الإعجاب الفائق والتقدير الفوري وكل ذلك حدث أمام أعين عبد الإله الوصي على عرش العراق آنذاك.

ويتناول الجواهري في هذه القصيدة القضية الفلسطينية التي هي موطن النبيّ عيسى (عليه السلام) ومسرى نبي الرحمة محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيها المسجد الأقصى المبارك. والقصيدة كلها حسب تعبير محمّد حوّر: «حديثٌ عن المسجد الأقصى وهو حزين، وفلسطين ذهبت ولم تجد مطالباً بها، والأذان لم يعد يرفع في بيوت الله» (حوّر، 1998، ص 94). حيث خاطب الشيخ بشارة الخوري:

جئتَ العراقَ ومِن فِلَسطينٍ بهِ. وجــعٌ مُطَبِّبُــهُ يعـودُ عليــلا

والمســجدُ المَـحزونُ يُلقي فوقَــهُ. ليلاً على الشرقِ الحزينِ طويلا

(الجواهري، 1972 م، ج 3، ص 247)

و«من العجيب أنّ البريطانيين الذين وقعت فلسطين تحت انتدابهم، وهيأوا لليهود الأرضية والتّمهيدات اللازمة للاستيطان وللاستيلاء على هذه البقعة... يلتزمون الحياد ولا يصوّتون لصالح إسرائيل عام 1948 عندما أقرت منظّمة الأمم المتحدة تأسيس الحكومة الإسرائيلية وعندما أعلنت إسرائيل وجودها رسمياً (بهاء الدين ومراديان، 2011، ص 345). وكفى بالأبيات التالية دليلاً على حسن استقراء الشاعر للأحداث، حيث تنبأ بنكبة فلسطين قبل وقوعها:

ذهبتْ فِلَسطينٌ كأنْ لم تعترِفْ. مِن كافِليها ضامِنـاً وكفيــلا

وعَفَتْ كأن لم يمشِ في أرجائِها. عيسى وأحمدُ لم يَطِرْ محمولا

(الجواهري، 1972 م، ج 3، ص 247)

وبعد الحديث عن أن المسجد الأقصى بات حزيناً، وفلسطين ذهبت ولم تجد مطالباً بها، والأذان لم يعد يرفع في بيوت الله، أكد الجواهري أن بريطانيا «الحنظلي» بسياساتها ووعودها الكاذبة، ظهرت على حقيقتها بخذلان العرب:

و «الحَنْظَلِيُّ» بِحَلْفِهِ ووُعــودِهِ. مازالَ كاذبَ وعدِهِ مَمْطولا

لم يرْعَ شَرْعَ الكافرين ولا وَفَى. حقَّيْهِمـا القـرآنَ والإنجيلا

أعطَى النبي أهلَها فاسْتامَهُمْ. بلفورُ فاستوصى بهم عِزريلا

واليومَ يَفْخَرُ بالحِيادِ كفاخِرٍ. بالقتلِ إن لم يُسْلَخِ المقتولا

(المصدر نفسه)

النتيجة:

وبعد هذا الاستعراض لنماذج من أشعار الشاعر العراقي «محمد مهدي الجواهري» التي تطرق خلالها للقضية الفلسطينية قبل وقوع النكبة عام 1948، يمكننا سرد أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة كالتالي:

أ. بدأ الجواهري رحلته مع فلسطين، مع بداية رحلته مع الشعر، وكانت محاولته الأولى في هذا المجال قصيدته المعنونة بـ «الشباب المر» عام 1922 أي بعد حوالي ثلاثة أعوام من إصدار قرار الأمم المتحدة القاضي بالانتداب البريطاني على فلسطين.

ب. تنبأ الجواهري بوقوع النكبة قبل عام 1948، معتبراً إياها بأنها ضاعت فلسطين كما ضاعت الأندلس من قبلها واقتطع جزء من الأراضي العربية والإسلامية، لكنه لم يستخدم المصطلح ذاته.

ت. صوّر الجواهري المأساة التي أدّت إلى احتلال فلسطين أدق تصوير وصرخ محذّراً من مغبة المؤامرة التي دُبّرت للأقصى المبارك منذ «وعد بلفور»، وحث الشباب الفلسطينيي والعربي على مكافحة الغزاة واسترجاع ما احتل من فلسطين بالقوة.

ث. هاجم الجواهري من خلال قصائده بما أوتي من قوة الحكام العرب وبات يلقي باللائمة على الأمة العربية، محملاً إياها ما ستفضي اليه التطورات بالقدس الشريف من احتلال وغصب وتدنيس على يد الصهاينة.

ج. اعتبر الجواهري المأساة الفلسطينية دليلاً حياً على عجز وهزيمة الدول العربية وحذّر من تطبيق هذه المؤامرة على سائر الدول العربية بما فيها العراق ودمشق.

ح. بعد وعد بلفور وبعد إقرار الأمم المتحدة الانتداب البريطاني على فلسطين، راح يدعو الجواهري إلى استرداد الحق بالقوة وأكد أنه لاسبيل لأمّته إلا القتال وحمل البندقية في وجه العدو.

خ. وبالرغم من أن الجواهري أكد في قصيدة «يوم فلسطين» على أنه لايكفي أن يهب الشعب الفلسطيني وحده لمواجهة العدو، وإنما هم بحاجة إلى من يقف بجانبهم، لأن الدول العربية لن تكون في مأمن مما يحيط بها، لكنه لم يعوّل كثيراً على الأمة العربية، إذ طلب فيما بعد من فلسطين ألاّ تعتمد وتعوّل علي العرب فهم لا يتقنون إلاّ البكاء والنواح، وهم أصحاب أقوال لا أفعال، وتقتصر نصرتهم لها على ضرب الكف بالكف من الحزن.

د. ونعتقد بأن نبوءة الجواهري المتمثلة في مقولته «أن شعباً من جديدٍ خُلِقا» تحققت فى عصرنا الراهن بحيث نشاهد المجاهدين وحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان يتوقون للذود عن الأقصى والدفاع عن هويتهم وكرامتهم ويناضلون من أجل تحرير أراضيهم.

ذ. جعل الجواهري من ذكرى وعد بلفور فرصة مناسبة لإطلاق إنذاره وتحذيره فلسطين من النيات الخبيثة والأساليب الأجنبية والمؤامرات الخطيرة التي تحاك ضدها، فأخذ يشجّع أبناء الأمة الإسلامية على الاعتماد على قدراتها الحقيقية ومواجهة العدو بدلاً من الحوار معه والدوران فى فلك أجندته واسترضائه.

ر. أزال الشاعر الجواهري القناع عن تخاذل القادة العرب، محملاً إياهم الهزائم التي تلحق بالأمة عربية. وانتقد سياسة التطبيع والقبول بالأمر الواقع، وسخّر من الحلول الاستسلامية.

المصادر

القرآن الكريم

1. أبو عامر، عدنان عبدالرحمن (2007)، الموقف الإسرائيلي من قضية اللاجئين، دمشق، (pdf).
2. بهاء الدين، جعفر ومراديان، علي أكبر(2011)، الالتزام في شعر محمد مهدي الجواهري، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكاتب العربي.
3. التميمي، أسعد بيوض (2006)، زوال دولة إسرائيل حتمية قرآنية، الطبعة الأولى، عَمَّان، الأهلية للنشر والتوزيع.
4. الجبوري، عبد الله (1993)، الجواهري؛ نظرات في شعره وحياته، بيروت، دار الكتب العلمية.
5. الجواهري، محمد مهدي (1972)، ديوان الجواهري، الجزء الأول إلى الجزء السابع، الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد، مطبعة الأديب.
6. -------- (1988)، ذكرياتي، الجزء الأول والثاني، الطبعة الأولى، دمشق، دار الرافدين.
7. حوّر، محمد (1998)، فلسطين في شعر الجواهري وقراءات في الأدب الحديث، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
8. الشابي، ابوالقاسم (2000)، ديوان الأشعار، الطبعة الأولى، بيروت، دار العودة.
9. شعبان، عبدالحسين (1997)، الجواهري (جدل الشعر والحياة)، الطبعة الأولى، بيروت، دارالكنوز الأدبيّة.
10. الصغير، محمد حسين (1968)، فلسطين في الشعر النجفي المعاصر، الطبعة الأولى، بغداد، دار الصادق.
11. الفاخوري، حنا (1986)، الجامع في تاريخ الأدب العربى: الأدب الحديث، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.
12. اليحيى، فرحان (2001)، أزمة المواطنة في شعر الجواهري، دمشق، نشر اتحاد الكتّاب العرب.

الصحف والمجلات

1. حريرچي، فيروز، التناقض في شعر محمد مهدي الجواهري، فصلية دراسات الأدب المعاصر، العدد 15، 1391.
2. عزيز، مليحة، فلسطين في شعر الجواهري (1920 – 1970)، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 14، 2009.
3. معروف، يحيى، الجواهري: حياته، مخزونه الثقافي وميزاته الشعرية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 13، 2006.